﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: 216]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ذكـر الجـهـاد الّـذي بـه قِـوام الدِّين بعد ذكر الإنفاق الّذي به قِوام الدُّنيا

لَمَّا ذكر الله تعالى ما مسَّ مَن تَقدَّمَنا مِن أَتباع الرُّسُل مِن البأساء ومن البلايا في قوله: ﴿وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة: 214]، وأَنَّ دُخولَ الجنّة مَعروفٌ بالصّبر على ما يُبتَلى به المُكَلَّفُ، ثمّ ذكر الإنفاقَ على مَن ذكر فهو جهادُ النَّفسِ بالمال، انتقلَ إلى أعلى منه وهو الجهاد الَّذي يَستقيمُ به الدِّينُ، وفيه الصَّبرُ على بَذل المال والنَّفس[1].

فقدَّم ذِكرَ الإنفاق وعقَّبَهُ بالقتال لإعلاء كلمته تَرَقِّيًا من الأدنى إلى الأعلى[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كُتِبَ﴾: أَصلُ (كَتَبَ) يدُلُّ على جمع شيء إلى شيء، والكِتابُ يُوضَعُ مَوضِعَ الفَرضِ، فيُقالُ: كَتَبَ عليه شيئًا أي فَرَضَهُ، ومعنى الآية: فُرض عليكم الجهادُ[3].

2) ﴿كُرۡهٞ﴾: يُقال: كَرِهتُ الشَّيء كَرهاً وكُرهاً وكَرَاهَة وكَرَاهِيَةً؛ وأصل (الكُره) يدُلُّ على خلاف الرِّضا والمحبَّة، والقِتالُ مَكروهٌ من حيث الطَّبع لمَا فيه من الشِّدَّة والمَشقَّة، يُقالُ: إنِّي أكره الشَّيء وأريده

(1) أبو حَيّان، البحر المحيط: 2/379، والآلوسّي، روح المعاني: 1/502، وابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 2/319.
(2) الكُورانّي، غاية الأماني، ص: 825.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (كتب)، وابن قُتيبة، غريب القرآن، ص: 82، والسّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 394.

من حيث الشَّرع والعقل، والمعنى هنا: تَكرهونه من حيث الطَّبع؛ وهو مَشَقَّةٌ لكم[1].

3) ﴿وَعَسَىٰٓ﴾: عسى فعلُ طَمَعٍ وتَرجٍّ، يجيءُ للتَّرَجّي في المحبوب والإشفاق في المَكروه، وأصل (عسى) يدُلُّ على قُربٍ وإمكانٍ، وإذا أُسندت (عسى) إلى اللَّه ﷻ فاللَّه لا يُعجزُهُ شيء، فعسى من اللَّه إيجاب؛ وذاك أنَّ الله تعالى إذا ذَكَرَ ذلك يَذكُرهُ ليكون الإنسان منه راجيًا، لا أنْ يكون هو تعالى يَرجُو. "وقد ذُكرت (عسى) في الذّكر الحكيم في ثلاثين مَوضِعًا، وذُكرت (لعلّ) في تسعة وعشرين ومئة مَوضِع، وجاءت كلٌّ منهما على حقيقتهما في حقّ العباد، وخرجتا إلى معانٍ مَجازية في حقّ الله تُستنبط من السّياق بحسب ما يهدي إليه سياق السّباق واللّحاق"[2].

والمعنى هنا: ولعلّكم أَنْ تكرهوه وهو خيرٌ لكم[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

فُرِض عليكم - أيُّها المؤمنون - قتالُ الكفَّار لحماية دينكم والدِّفاع عن أنفسكم؛ وهو مكروه لكم من جهة الطَّبع، لمشقَّته وما فيه من بذل المال والنَّفس، ولعلّكم تكرهون شيئًا وهو في الواقع خيرٌ ونفعٌ لكم كالقتال في سبيل اللّه؛ فمع عِظم ثوابه فيه النَّصر على الأعداء، ورَفعُ كلمة الله، وقد تحبُّون شيئًا لما فيه الرَّاحة واللَّذة العاجلة كالقعود عن الجهاد، وهو شرٌّ ووبالٌ عليكم؛ فإنَّ فيه الخِذْلان، وتَسَلُّطَ الأعداء، واللّه يعلم ما غاب من مصالحكم

فرض الله على عباده الجهاد نصرًا للدِّين، وعِلمُه سبحانه بمصالحهم يُوجِبُ عليهم الطَّاعة والتَّسليم

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسَّمين، عُمدة الحفّاظ، والزّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (كره)، وابن قُتيبة، غريب القرآن، ص: 82.

(2) إبراهيم الهدهد، التّرجّي في الذّكر الحكيم مواقعه وأسراره، بحث منشور في مجلة كليّة اللّغة العربيّة بالقاهرة 1997م، ثمّ نُشر ضمن كتاب في أنوار البلاغة القرآنيّة للمُؤلِّف عام 2022م، ص: 54 وما بعدها.

(3) الرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عسى)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (عسوي)، وابن جرير، جامع البيان: 4/298.

عنكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، فاستجيبوا لأمره، فبادروا إلى الجهاد في سبيله؛ ففيه الخير كلُّه[1].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

السِّرُّ في استعمال لفظ ﴿كُتِبَ﴾ بَدَلَ (فُرِضَ):

في لفظ الكَتْبِ زيادة تأكيدٍ للطَّلَبِ ولُزومٍ، فالكَتْبُ فرضٌ مُوثّق

في قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ استئنافٌ لحكم جديد، افتُتِح بلفظ الكَتْبِ دليلًا على تأكيد وجوب القتال، فاختار لفظة ﴿كُتِبَ﴾ ولم يَقُلْ: (فُرِض)، والاختيار دليلُ الحِكمة؛ فإنَّ الجهاد عبادةٌ شاقَّة، لما فيه من القتلِ والجِراح وفراق الأهل والأولاد، وما فيه من ترك للرَّاحَة المحبوبة للنَّفس، ولأنَّ النُّفوسَ تحبّ الرَّاحةَ والدَّعَةَ والرَّفاهيةَ[2]؛ كان المقام أن تُذكَرَ الفرضيَّة بلفظ ﴿كُتِبَ﴾؛ لأنَّ الكتابة في معنى التَّكليف أوثَق وأقوى مِن لفظ (فُرِضَ)[3]؛ فالشَّيء يُراد ثمَّ يُقال ثمَّ يُكتَبُ، فالأمر قد فُرِضَ وفُرِغَ منه[4]، ففي اللَّفظِ إيجاب مؤكَّدٌ من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكُفُّوا شرّ الأعداء عن حَوْزة الإسلام[5].

فائدة بناء فعل ﴿كُتِبَ﴾ للمفعول:

إشعارٌ بجلالةِ مَن كَتَبَ، وتَنويهٌ بفخامة ما كُتِبَ وفضله، وكشفٌ عن مَنزلة مَن كُتِبَ عليه

بُنِي الفعل ﴿كُتِبَ﴾ للمفعول؛ لأنَّ في القتال شدَّةً ومَشَقَّةً وإلزامًا، فلم يَقل (كتبنا) لكون الجملة مُذَيَّلَةً بقوله: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾: وهو لا يُناسبُ إظهار الفاعل صَونًا لمقامِهِ عن الهتك، وحِفظًا لاسمه عن الاستخفاف أن تقع الكتابة المنسوبة إليه صريحًا مَوردًا لكراهة المؤمنين، كما أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يُكَلِّفْ كافرًا بأيّ تكليفات

(1) لجنةٌ من علماء الأزهر، المُنتخَب في تفسير القرآن الكريم، ص: 48، ونخبةٌ من العلماء، التَّفسير المُيسَّر، ص: 34، وجماعةٌ من علماء التَّفسير، المُختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 34.

(2) ابن قيّم الجوزيّة، الجواب الكافي، ص: 194.

(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/259.

(4) ابن القوطيَّة، كتاب الأفعال، ص: 65.

(5) ابن كَثير، تفسير ابن كَثير: 1/573.

إيمانيَّة؛ فسبحانه لم يُكَلِّفْ بأيّ حكم من أحكام الإيمان إلَّا من آمن به وأَسلمَ له، ففيه إشعارٌ وإيذانٌ بفخامة ما كُتِبَ وعلى من كُتِبَ[1].

فقد جاء هذا البناء للمفعول فيما يَشقُّ على النُّفوس، لأنَّ التَّكليفَ إلزامُ ما في فعله كُلفَةٌ ومَشَقَّة[2] كما في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ [البقرة: 178]، وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183]، بينما نجد الاسمَ الجليل ظاهرًا في مثل قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: 21] لِما فيه من ذِكْرِ البِشارَة والمَسَرَّة، وهذا من رحمة الله بهذه الأمّة، فكلُّ تكليف فيه مشقّة وإزهاق للنّفوس، لايقترن باسم الله الجليل تخفيفًا للهيبة، حتّى لا يجمع الله تعالى على الأمّة عِظم المهابة مع شدّة التّكليف؛ تقديرًا لما فُطِرت عليه النّفوس من حبّ الحياة وكراهيّة الموت.

دلالة التَّعبير بالمصدر ﴿كُرۡهٞ﴾ دون الوصف أو المفعول في قوله تعالى ﴿وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾:

فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾ من الكراهة بدليل قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾، ثُمَّ إمَّا أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر مَوضِع الوصف مُبالغةً[3]، كقول الخنساء:

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتَّى إذا ادَّكَرَت *** فَإنَّما هِيَ إقْبالٌ وإدْبارُ[4]

فهو مَصدرٌ نُعِتَ به للمُبالغة، فالقتال وُصِفَ به معنى؛ كأنَّ القتال لِكمالِ شدَّتِهِ وعِظَمِ مَشقَّتِهِ تَجسَّمَ مِنَ الكَراهة[5].

المُبالغة في شِدَّة الكُره، وتَمَكُّنِ الوَصفِ من المُخاطَب

وإمَّا أن يكون (فُعْلٌ) بمعنى مَفعول كالخُبز بمعنى المخبوز، فأُقِيمَ فيه المصدرُ مُقامَ المفعول[6]، فـ﴿كُرۡهٞ﴾ أي: وهو مكروه لكم،

(1) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 9/5420، ومحمَّد بن سعد الدَّبل، دليل البلاغة القرآنيَّة: 1/291.

(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 6/24.

(3) الزّمخشريّ، تفسير الكشَّاف: 1/258، وزاده، حاشية على تفسير البَيضاويّ: 2/515، ومحمد علي جميل، صَفوة التَّفاسير: 1/138.

(4) البيت للخنساء من قصيدة ترثي بها أخاها صَخْرًا، والبيت ذَكَرَهُ الرَّضي شاهدًا على أنَّ اسم المعنى إقبالٌ يَصِحُّ وقوعه خبَرًا عن اسم العين، إذا لزم ذلك المعنى لتلك العين، حتَّى صار كأنَّه هي فلم يكن لها حالٌ غيرهما، وكأنَّها قد تجسَّمت من الإقبال والإدبار، وهو من قبيل (زيد عدل)، يُنظر: ديوان الخنساء، اعتنى به: حمدو طمّاس، ص: 46، والجُرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 301، ومحمَّد حسن شُرَّاب، شرح الشَّواهد الشِّعريَّة: 1/505.

(5) القونويّ، حاشيةُ القونويّ على البَيضاويّ: 5/189.

(6) زاده، حاشية على تفسير البَيضاويّ: 2/515، وابن التَّمجيد، حاشية ابن التَّمجيد على البَيضاويّ: 5/189.

ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على طريق المجاز، من حيث اشتماله على إطلاق الإكراه على المُكرَهِ عليه، ثُمَّ حُمِلَ المُكرَهُ عليه على القتال الشَّبيه به كأنَّهم أُكرِهوا عليه لشدَّةِ كراهَتِهم له ومشقَّتِه عليهم[1]، فالكُرهُ الّذي هو بمعنى الكراهة مجازٌ للإكراه؛ لأنَّه سببٌ للكراهة فذُكِرَ المُسَبَّب وأُريدَ السَّبَبُ[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: 15]، وجميع ما كُلِّفوهُ على نسَقِ قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾، فإنَّ النُّفوس تكرهه، وتَنفِرُ عنه وتُحبُّ خلافَهُ[3].

فالحاصل أنَّ التَّعبير بالمصدر هنا للمُبالغة في شدَّةِ الكُرهِ، وتَمَكُّنِ الوَصفِ من المُخبَرِ عنه، فالقتال كَريهٌ لِلنُّفوس، ومكروه للطِّباع؛ لِمَا فيه من مَشَقَّةٍ وبَذلٍ للنَّفس والمال[4].

كما أنّ الخبرَ بهذا لَمَّا كانَ مَعلومًا للمُخاطَبينَ تعيَّنَ أَنْ يكونَ المُرادُ مِنَ الإخبارِ لازم الفائدةِ، أي: كَتَبنَاهُ عليكم، ونحن عالمون أَنَّهُ شاقٌّ عليكم، بدليل قوله تعالى بعد هذا: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[5].

فإن قيل: إنَّ الخطاب في هذه الآية للمؤمنين، فكيف يُخاطِبُ اللّه تعالى المؤمنين بأنَّ ما كَتَبْتُهُ عليكم وكلَّفتُكم به كُرهٌ لكم، وهو يُشعِرُ بكون المؤمنين كارهين لحكم اللّه وتكليفه؟! وذلك غير جائز؛ لأنَّ المؤمن لا يكونُ ساخطًا لأوامر اللّه وتكاليفه، بل يرضى بذلك ويُحبُّه ويعلم أنَّ صلاحه فيه وفساده في تركه.

والجواب: أنَّ المُراد من كونِه كُرهًا للمؤمن كونُه ثقيلًا شاقًّا على نفسه، وما كان كذلك يكرهه الإنسان بطبعه، وإن كان يُحِبُّه المؤمن بعقله واعتقاده، وكراهة الطَّبع لا تُنافي الإيمان، بل تُحقِّقُ معنى العُبوديَّة لأنَّ التَّكليفَ إلزامُ ما فيه كُلفَةٌ ومَشقَّةٌ، ومَدارُ أمر الدِّين ليس إلا مُخالفة الهوى واختيار جانب المولى، وتَحمُّل مشقَّة اتّباع الشَّرع، وعدم الالتفات

(1) أبو حَيّان، البحر المُحيط: 2/380، والبَيضاويّ، أَنوار التَّنزيل: 1/136، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/216، وزاده، حاشية على تفسير البَيضاويّ: 2/515.

(2) القونويّ، حاشية القونويّ على البَيضاويّ: 5/190.

(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/257-258، والطِّيبي، فتوح الغَيب: 3/347.

(4) عادل الرّوينيّ، من غريب بلاغة القرآن الكريم في سورتيّ الفاتحة والبقرة، ص: 561.

(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/320.

إلى نُفرَةِ الطَّبع، وأمَّا كراهة الاعتقاد فهي من صفات المنافقين الّذين قال تعالى فيهم: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التّوبة: 54][1].

فالمُراد في الآية الكراهة بحسب الطَّبع، بمعنى أنَّها غير مُلائمة للطَّبع، فإنَّ الطبع يَجِدُها أمرًا شاقًّا وتَعَبًا مُنافِيًا له غير مُلائِم[2].

سرُّ اختصاص الآية الكريمة بثلاث جمل حاليّة اسميّة:

ضمّتِ الآية الكريمة ثلاث جمل حاليّة اقترنت كلّها بالواو لكونها حالًا لازمة، وجاءت كلُّها جملًا اسميّة ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾ و﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ و﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾، وفي ذلك تأكيد لمَا يكون عليه حال العباد من عدم معرفتهم بخفايا الأمور، وأنّ اللّه هو العليم العالم ببواطن الأمور وظواهرها، لذا يجب على العبد قبول التّكليف مع اليقين بأنّ الخير كُلَّهُ في قبول التّكليف والامتثال لأوامر اللّطيف.

اللـه أعلـم بحقيقة الأشياء، والعبد لايعلم إلا ظاهرها، وتخفى عليه الحقائق

سرُّ الاحتباك في الآية الكريمة[3]:

في الآية الكريمة احتباكٌ، سواء أكان المعنى بالنّظر إلى ما كان عليه المسلمون من قوّة الرّجل الواحد بعشرة إلى نزول الآية، أم بالنّظر إلى ما حدث في صلح الحديبيّة، أم بالنّظر إلى واقع المسلمين في كلّ زمن، وقد كانوا كَرِهوا الصُّلحَ واستَحَبُّوا القتالَ؛ لأنّهم يومئذٍ جيشٌ كثيرٌ فيكونُ تَذكيرًا لهم بأنّ اللّه أعلمُ بمصالحهم، فقد أَوجبَ عليهمُ القتال حين كانوا يكرَهونَهُ وأَوجبَ عليهمُ الصُّلحَ في وَقتٍ أَحَبُّوا فيه القتال[4]، قال البقاعيّ: "والآية من الاحتباك: ذِكرُ الخير

وجـوب إسقاط نـظـرة المـؤمـن لـلأمـور حـال صدور الأمر عن علّام الغيوب

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 6/24، وزاده، حاشية على تفسير البَيضاويّ: 2/516.

(2) ابن التّمجيد، حاشية ابن التّمجيد على البَيضاويّ: 5/189.

(3) الاحتباك أو الحذف المقابليّ: هو أن يُحذَفَ مِنَ الأوائل ما جاء نَظيرُهُ أو مُقابِلُهُ في الأواخر، ويُحذَفَ مِنَ الأواخر ما جاء نَظيرُهُ أو مُقابِلُهُ في الأوائل، مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣﴾ [الإنسان: 13]، فقد قيل في الزَّمهرير قولان؛ فقيل: هو القمر في مقابل الشَّمس، وقيل: هو البَرد، فأفاد بالشَّمس أنَّه لا قمر فيها، وبالزَّمهرير أنَّه لا حرَّ فيها، فحُذِفَ مِن كلٍّ شقٍّ مُقابِلَ الآخر، يُنظر: السُّيوطيّ، التَّحبير في علم التَّفسير، ص: 45، والمَيدانيّ، البلاغة العربيَّة: 02/54، وأحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص: 36-35.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/320، وقد سمّاه الزّركشّي في البرهان: 3/129: الحذف المقابليّ، وكتب فيه د. إبراهيم الهدهد كتابًا عنوانُه: الاحتباك في الذّكر الحكيم: مواقعه - أسراره، جمع فيه خمسة عشَر ومئة مَوضِع في الذّكر الحكيم، أبان فيها عن سرّ ماذُكِر وسرّ ماحُذِف.

أوّلًا دالٌّ على حذفه ثانيًا، وذِكر الشّرّ ثانيًا دالٌّ على حذف مثله ثانيًا"[1]، وتقدير المعنى على ذلك: وعسى أن تكرهوا شيئًا شرًّا وهو خير لكم، وعسى أن تُحبّوا شيئًا خيرًا وهو شرٌّ لكم، وسِرُّ الحذف في المَوضِعين: إسقاط نظرة المؤمن للأشياء عن درجة الاعتبار، مادام الأمر صادرًا من الله ﷻ مهما تظاهرت أسباب الواقع على كونه خيرًا أو شرًّا، ونُكتَةُ ذِكر الكره والحبّ هو إظهار خفايا النّفوس، وبيان أنّها أساس الإقدام والإحجام في المَوضِعين، وقد أظهرهما النّظم الكريم في تقابل بديع يكشف عن بيان الدّوافع وتعارضها، وكلّ ذلك ممّا يُبَغّض طاعة النّفس فيما تهوى، وتحطّم تقديرها الأشياء الّتي بيّنَ الله وجه الثّواب فيها"[2].

وجه ارتباط جملة ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ بما قبلها:

تأكيد مضمون ما قبلها ودفع الاستغراب عمَّا قد ينشأ عنه

قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ﴾ جملةٌ تذييليَّة دالَّة على أنَّ طبيعةَ المُكَلَّفِ عادتُها استكراه ما هو خيرٌ لها؛ فلذا يكون القتالُ كُرهًا لها وهو خيرٌ مَحضٌ يترتَّب عليه خير الدَّارين، كإعلاء كلمة الله، والغنيمة، والشَّهادَة، والسَّعادة، والوصول إلى دار الكرامة؛ فجيء بهذا التَّذييلِ لِدفع الاستغراب النَّاشئ عن قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾، لأنَّه إذا كان مَكروهًا؛ كان شأنُ رَحمةِ اللَّهِ بخلقِه أَلَّا يكتُبَهُ عليهم، فذَيَّلَ بهذا لِدفع ذلك[3]، وقد تُخرَّجُ الجملةُ من باب الاحتراسِ، بالنَّظَرِ إلى إرادةِ دفعِ الإيهامِ.

وقيل: هي جملةٌ اعتراضيَّة دالَّة على أنَّ في القتال خيرًا لهم فتكون مُؤَكِّدَةً لمضمونها، ومشيرةً إلى سبب نُفرَةِ الطَّبع عن المأمورات؛ إذِ النَّفس لَمَّا كانت تُحِبُّ المنهيّات كَرِهَت بالطَّبع المأمورات، وبهذا الاعتبار تكون مُقَرِّرة لما قبلها[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/402.
(2) الهدهد، الاحتباك في الذّكر الحكيم مواقعه، أسراره، ص: 58.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/321.
(4) القونويُّ، حاشية القونويّ على البَيضاويّ: 5/190.

خروج ﴿وَعَسَىٰٓ﴾ من الدّلالة على ترجّي المتكلّمِ إلى إحداث الشّكّ في المُخاطَب:

بيان تلطّف الله بعباده وتخفيف مَشقّة التّكليف، تعويدًا للعباد على أنّ الشّريعة مُعلَّلة مُذلَّلة

﴿وَعَسَىٰٓ﴾ من أفعال المقاربة، ولم يُستعمل إلا ماضيه فقط، ونُقِل إلى إنشاء التَّرجّي أو الإشفاق مثل (لعلَّ)، وهذا في استعمال العباد إيّاه، وأمَّا ما وقع في كلام اللّه تعالى فهو يكون للتَّرجية أو التَّخويف[1].

فعسى من اللّه واجبة[2]؛ وقيل: إنّها هنا للإشفاقِ دون التَّرجّي[3]؛ أو للإشفاق في الأولى والتَّرجّي في الثَّانية[4] أو العكس، لأنَّ المستقبل في الأولى خَيرٌ وانتظاره رجاء، والمستقبل في الثَّانية شَرٌّ فانتظاره إشفاق وخوف[5].

ومُجمَل القول: أنَّ (عسى) تأتي لمعانٍ منها: الرَّجاء، والإشفاق، والتَّوقع، والتَّعليل.

وقد ذكر المُفسّرون أنّ ﴿وَعَسَىٰٓ﴾ هنا في مَوضِعيها خرجت من الدّلالة على شكّ القائل إلى إحداث الشّكّ في المُستمِع[6]، وذكر بعضهم أنّ الأولى للإشفاق لا للتّرجّي، وأنّ الثّانية للتّرجّي"[7] وهو ناظر في ذلك إلى مدخول (عسى) على أنّ دلالة ﴿وَعَسَىٰٓ﴾ في المَوضِعين تدُلُّ على "تلطّف اللّه تعالى لرسوله والمؤمنين، وإنْ كان سبحانه غنيًّا عن البيان والتّعليل؛ لأنّه يَأمر فيُطَاع، ولكنّ في بيان الحكمة تخفيفًا من مشقّة التّكليف، وفيه تعويد المسلمين على تلقي

(1) زاده، حاشية على تفسير البَيضاويّ: 2/516، والبروسوي، روح البيان: 1/332.

(2) ويُنسَبُ هذا القول إلى الصَّحابي الجليل عبد الله بن عبَّاس ﷺ، فقد أخرج البيهقيّ عن ابن عبَّاس ﷺ قوله: "كلُّ عسى في القرآن فهي واجبة"، يُنظر: البيهقيّ، السُّنن الكبرى، حديث رقم: (17753).

(3) أبو حَيّان، البحر المُحيط: 2/380.

(4) أبو حَيّان، البحر المُحيط: 2/380، والسَّمين، الدُّرُّ المَصون: 2/387.

(5) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/260.

(6) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 3/225-226، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 1/401 402-، والجمل، الفتوحات الإلهيّة: 1/171، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/321 322-.

(7) أبو حَيّان، البحر المُحيط: 2/143-144.

الشّريعة مُعلَّلة مُذلَّلة، فأشار إلى أنّ حكمة التّكليف تعتمد المصالح ودرء المفاسد، وتعتمد ملاءمة الطّبع ومنافرته"[1].

وهذا الأسلوب كثيف الدّلالة؛ إذ جاء مُتضمّنًا ثلاثة أساليب، أوّلها: أسلوب إنشائيّ غير طلبيّ سببه (عسى)، وأسلوب احتباك، وأسلوب مقابلة، وكلُّ ذلك تعاون في إبراز المعنى المُراد؛ وهو الحثُّ على أشقّ الطّاعات، وفي تكثيف الأساليب وتظاهرها على بيان معنى واحد إقناعٌ للعقل وإمتاعٌ للوجدان.

بديع المقابلة في قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾:

الغايات الحميدة قد توجد في خبايا الأسباب المكروهة، والغايات المكروهة في الأسباب المستلذَّة

بين هاتين الجملتين مُقابلة بديعة؛ حيث قابل بين الكراهيَّة والحبِّ، وبين الخير والشَّرِّ[2]؛ فالعبد إذا عَلِمَ أنَّ المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن تُوافيه المضرَّة من جانب المسرّة، ولم ييأس من أن تأتيه المسرَّة من جانب المضرَّة، لعدم عِلمِهِ بالعواقب، فإنَّ اللّه يَعلَمُ منها ما لا يعلمه العبد، فلا أنفع للعبد من امتثال أمر ربِّه وإن شَقَّ عليه في الابتداء، لأنَّ عواقبَه كُلَّها خيرات، ومسرَّاتٌ، ولذَّاتٌ، وأفراح، وإن كَرِهَتهُ نفسه فهو خير لها وأنفع، وكذلك لا شيءَ أضرُّ عليه من ارتكاب المنهيِّ وإنْ هَوِيَتهُ نفسه ومالت إليه، وأنَّ عواقبه كلَّها آلام، وأحزان، وشُرور، ومصائب[3].

وخاصَّةُ العاقل تَحَمُّلُ الأَلم اليَسيرِ لِما يعقبه من اللَّذة العظيمة، والخير الكثير، واجتناب اللَّذة اليسيرة لِما يعقبها من الألم العظيم والشَّرّ الطَّويل، فَنَظَرُ الجاهل لا يجاوز المبادئ إلى غاياتها، والعاقل الكيِّس دائمًا ينظر إلى الغايات من وراء سُتورِ مباديها[4]، فالغايات الحميدة في خبايا الأسباب المكروهة الشَّاقَّة، كما أنَّ الغايات المكروهة

(1) إبراهيم الهدهد، في أنوار البلاغة القرآنيّة، ص: 113.
(2) محمد علي جميل، صَفوة التَّفاسير: 1/124.
(3) ابن قيّم الجوزيَّة، الفوائد، ص: 136.
(4) ابن قيّم الجوزيَّة، تفسير القرآن الكريم، ص: 147.

المؤلمة في خبايا الأسباب المُشتهاة المُستلذَّة، وهذا من حين خلق الله سبحانه الجنَّة وحفَّها بالمكاره، وخلق النَّار وحفَّها بالشَّهوات[1].

سرُّ تَكرار ﴿وَعَسَىٰٓ﴾ في الجملتين:

تَعويدُ المُسلم على تَلَقِّي التَّشريع بتعليله وتَيسير فهمه وامتثاله

في تَكرار ﴿وَعَسَىٰٓ﴾ تلطُّفٌ من اللَّه تعالى لرسوله والمؤمنين، وإنْ كان سبحانَه غَنيًّا عَنِ البيان والتّعليل، لأنّه يأمُرُ فيُطاع، ولكنْ في بيان الحكمة تخفيف مِن مَشقَّةِ التَّكليف، وفيه تَعويدُ المسلمين بتلقِّي الشَّريعةِ مُعلَّلةً مُذلَّلةً، فأشارَ إلى أَنَّ حكمةَ التَّكليف تعتمدُ المصالِحَ ودَرءَ المَفاسِد، ولا تعتمدُ مُلاءمةَ الطَّبع ومُنافَرَتَهُ؛ إذ يَكرَهُ الطَّبعُ شَيئًا وفيه نَفعُهُ، وقد يُحِبُّ شَيئًا وفيه هلاكُهُ، وذلك باعتبار العواقب والغايات فإنَّ الشَّيءَ قد يكونُ لذيذًا مُلائمًا ولكنَّ ارتكابَهُ يُفضي إلى الهلاك، وقد يكونُ كَريهًا مُنافِرًا وفي ارتكابه صلاحٌ. وشأنُ جُمهور النَّاس الغَفلةُ عَنِ العاقِبَة والغايَة أو جَهلُهُما، فكانتِ الشَّرائعُ وحَمَلَتُها مِنَ العلماء والحكماء تُحرِّضُ النَّاسَ على الأَفعال والتُّروك باعتبار الغايات والعواقب[2].

بلاغة القصر بتقديم المُسند إليه على خبره الفعليّ في ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ و﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾:

إفادة الاختصاص وتقوية الحكم وتوكيده، وتَعليمُ المسلمين تَلَقِّي أَمرِ اللَّهِ تعالى باعتقاد أَنَّه الصَّلاحُ والخيرُ

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ تَذييلٌ للجميع، والمقصود مِن هذا تعليمُ المسلمين تَلَقِّي أمرِ اللَّه تعالى باعتقاد أَنَّه الصَّلاحُ والخيرُ، وأنّ ما لم تَتَبَيَّنْ لنا صفتُه مِنَ الأفعال المُكَلَّف بها نُوقِنُ بأَنَّ فيه صفةً مُناسبةً لحُكم الشَّرع فيه فنطلبها بقدر الإمكان عسى أَنْ نُدركَها، لِنُفَرِّعَ عليها ونَقيسَ. ويَدخُلُ تحت هذا مَسائلُ مسالكِ العلَّة، لأنَّ اللَّه تعالى لا يُجري أَمرَه ونَهيَه إلَّا على وَفقِ

(1) ابن قيِّم الجوزيَّة، إغاثة اللَّهفان: 2/109.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/321.

عِلمِهِ[1]. فالآية تقتضي أنَّ الأحكامَ كلَّها لا تكون إلا لمصلحة، لأنَّها خرجت مَخرَج (التَّبيين) على كمال المبادرة إلى امتثال الأحكام الشَّرعيَّة، فدلَّ على أنَّ المُراد: واللّه أعلم ما في ذلك من المصلحة، وأنتُم لا تَعلَمونها، فعليكم أن تأخذوها بالقبول[2]، والمقصود من هذا الحذف التَّرغيب العظيم في الجهاد؛ لأنّ الإنسان إذا اعتقد قصور عِلمِ نفسه، وكمال عِلمِ اللّه تعالى، ثُمَّ عَلِمَ أنَّه سُبحانَهُ لا يأمر العبد إلا بما فيه خِيَرَتُهُ ومصلحتُه، علم قطعاً أنّ الّذي أمره اللّه تعالى به وجب عليه امتثاله، سواء أكان مكروهًا للطَّبع أم لم يكن[3].

بلاغة إيجاز القِصَر في الآية الكريمة:

تنويع المعاني وتكثير دلالاتها

حيث ورد في الآية الكريمة إيجازُ القِصَر[4] في استعمال لفظتي ﴿خَيْرٌ﴾ و﴿شَرٌّ﴾ وما تحمله كلُّ كلمة من المعاني الكثيرة المختلفة؛ فهي ألفاظ عامَّة مُطَّردة، في أنّ أفعالَ الخيرِ الّتي تكرهُها النّفوس لَمَا فيها من المشقَّة خيرٌ بلا شكّ، وأنَّ أفعالَ الشَّرِّ الّتي تُحبّها النّفوس لَمَا تتوهمه فيها من الرَّاحة واللَّذَّة شرٌّ بلا شكّ[5].

بلاغة الإيجاز بحذف مفعولي ﴿يَعْلَمُ﴾ و﴿تَعْلَمُونَ﴾:

التّأكيد على علم الله بكلّ شيءٍ، دون نـصّ على معيَّنٍ

ورد إيجاز بحذف مفعولي ﴿يَعْلَمُ﴾ و﴿تَعْلَمُونَ﴾ اللّذين دلَّ عليهما ما قبلهما؛ أَي: واللّهُ يعلمُ الخير والشَّرَّ وأنتم لا تَعلَمونهما، فبادروا إلى ما يأمركم به لأنَّه لا يأمركم إلّا بما عَلِمَ فيه خيرًا لكم،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/323.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/260.

(3) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 6/30.

(4) إيجاز القصر: هو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ الدَّالّة عليها بلا حَذفٍ، فهو الإيجاز الّذي لا يُعتَمَدُ فيه على استخدام الحذف، فتجيءُ العبارة بألفاظها القليلة، ومعانيها الغزيرة، دون أن يكون فيها ما يدُلُّ على كلام مَطويٍّ محذوف من اللَّفظ، وللقرآن الكريم فيه المنزلة الّتي لا تُسامى، والغاية الّتي لا تُدرك، ففيه أمثلة رائعة وكثيرة جدًّا، يرى فيها مُتَدبِّرو كتاب الله المجيد قِصَرًا في ألفاظها، وثَروةً واسعةً في معانيها ودَلالتها، يُنظر: محمَّد أحمد قاسم، ومحيي الدِّين ديب، علوم البلاغة البيان، ص: 188، وعبد الرحمن حسن، البلاغة العربيَّة: 2/29.

(5) السِّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 96.

وانتهوا عمَّا نهاكم عنه لأنَّه لا ينهاكم إلّا عمَّا هو شرٌّ لكم[1]. لأَنَّ اللَّهَ يَعلَمُ الأَشياءَ على ما هي عليه، والنَّاسُ يُشتَبَهُ عليهم العِلمُ فيظُنُّون المُلائمَ نافعًا والنّافع ضارًّا[2]، وممَّا زاد هذا المعنى تقوية وتوكيدًا طباق السَّلبِ بين ﴿يَعۡلَمُ﴾ و﴿لَا تَعۡلَمُونَ﴾[3].

وقد ورد هذا المعنى مُؤَكَّدًا في سورة النَّحل عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾ [النَّحل: 74] بحرف التّوكيد (إِنَّ)، بخلاف ما هاهنا فإنَّه لم يُؤكد؛ لأنَّ آية النَّحل تحدّثت عن الشِّرك باللّه ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [النَّحل: 73]، فناسبها التّوكيدُ؛ لعظَمِ شأنه وخطَرِه.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الكتابة والفرض:

في الكَتْبِ مَزيدُ إلزامٍ وتأكيد

تأتي كلمة ﴿كُتِبَ﴾ في كتاب اللّه تعالى على معانٍ عدّة؛ فتأتي بمعنى شَرع لكم، وبمعنى فَرض وقَدَّر وحَكَم، وقَضى وأَوجب وأَثبت[4].

فتكون في مَوضِع (الفَرض) كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ [البقرة: 178] وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183]، وتكون بمعنى الحُكم[5]، وبمعنى القضاء والتَّقدير كقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التَّوبة: 51]، أي: ما قضاه وقدَّره وأَبرَمَهُ[6].

ووجه ذلك أَن الشَّيء يُراد ثمَّ يُقال ثمَّ يُكتَبُ، فالإرادة مبدأ والكتابة مُنتَهى، فالأمر قد فُرِضَ وفُرِغَ منه،[7] ثمَّ يعبَّر عَنِ المُرَاد الَّذي هو المَبدأُ إذا أُرِيد به توكيد بالكتابة الَّتي هي المُنتَهى، فالكتابة توكيدٌ لهذه المعاني[8].

---

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 1/502.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/323.

(3) محمد علي جميل، صَفوة التَّفاسير: 1/138 - 139.

(4) الجَوهريّ، الصّحاح: (كتب)، والكفويّ، الكُلّيات، ص: 766، وابن جُزَي، التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، ص: 109، والبَغويّ، معالم التَّنزيل: 8/62، والرّاغب، تفسير الرّاغب: 4/314، والقُرطبيّ، تفسير القُرطبيّ: 17/308.

(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (كتب).

(6) السَّمين، عُمدة الحفّاظ: (كتب).

(7) ابن القوطيَّة، كتاب الأفعال، ص: 65.

(8) الكفويّ، الكلّيات، ص: 766، والرّاغب، المفردات، والسَّمين، عُمدة الحفّاظ: (كتب).

أمَّا الفرض فإنَّه يأتي بمعنى الإيجاب، أي: ما أوجبه الله تعالى بقَطعِ الحكم فيه[1]، والفرض لا يكون إلَّا من الله [2]ﷻ، وكلُّ مَوضِعٍ ورد فَرْضُ الله عليه ففي الإيجاب الّذي أدخله الله فيه قال تعالى ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [الأحزاب: 50] أي: قد علم الله ما يجب فَرْضه على المُؤمنِينَ في الأزواج والإماء من المَهر والنَّفقة[3].

كما تأتي كلمة ﴿فَرَضَ﴾ في كتاب الله تعالى على معانٍ عدّة:

فيأتي الفرض بمعنى التَّقدير كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[4] [الأحزاب: 38].

ويأتي بمعنى أنزل كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85]، أي: أنزل عليك القرآن[5].

ويأتي فرض بمعنى بيّن كما في قول الله ﷻ: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم: 2]، أي: بَيَّن لكم كَفَّارة اليمين[6].

فمع اشتراك اللَّفظتين في الدَّلالة على بعض المعاني واختلافهما في البعض الآخر؛ إلا أنَّ في مادَّة (الكَتْبِ) مَزيد تأكيد وحَتمٍ وإلزام في باب الإيجاب، وهي أعمُّ من مادَّة الفَرضِ وأوسعُ منها في المعنى.

القتل والقتال:

القتال غرضه كفُّ الأذى والدِّفاع عن النَّفس والدِّين، والقتل إزهاق النَّفس بحقٍّ أو بغير حقٍّ

القتال: القتل إزالة الرُّوح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتُبِر بفعل المُتولي يُقال: قَتَلَ، وإذا اعتُبِر بفوت الحياة يُقال: موتٌ قال تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: 144]، وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: 17]. والمُقاتلة المحاربة وتحرِّي القَتلِ، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: 193]، وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ

(1) الرّاغب، المفردات: (فرض).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 223.
(3) الكفويّ، الكلّيات، ص: 689.
(4) البَيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/233.
(5) البغويّ، مَعالم التّنزيل: 06/226.
(6) الكفويّ، الكلّيات، ص: 688.

يَلُونَكُم﴾ [التّوبة: 123]، وقال: ﴿وَمَن يُقَتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ﴾ [النّساء: 74]. والاقتتالُ كالمُقاتلة، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [الحجرات: 9][1]؛ والمُقاتلة مُفاعلةٌ، وهي حصولُ الفعل من جانبَين، ولمَّا كانَ فعلُها وهو القَتلُ لا يُمكِنُ حصولُهُ من جانبَين، لأَنَّ أَحد الجانبَين إذا قُتِلَ لم يَستَطِعْ أَنْ يَقتلَ، فكانَتِ المُفاعلةُ في هذه المادَّة بمعنى مُفاعلة أَسباب القَتل، أَي: المُحاربة، فقوله ﴿وَقَٰتِلُواْ﴾ بمعنى (وحارِبوا)، والقِتالُ: الحربُ بجميع أَحوالها من هُجوم ومَنع سُبُلٍ وحِصارٍ وإِغارةٍ واستِيلاءٍ على بلادٍ أَو حُصونٍ. والمُقاتِلةُ بكسر التَّاء: القوم الّذين يصلحون للقتال[2]، وإِذا أُسندَتِ المُفاعلةُ إِلى أَحد فاعلَيها فالمَقصودُ أَنَّه هو المُبتدِئُ بالفِعل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 190]، فجعل فاعِلَ المُفاعلةِ المُسلمينَ، ثُمَّ قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة: 190]، فجعل فاعلَه ضميرَ عدُوِّهم، فلزِمَ أَن يكونَ المُرادُ (دافِعوا الَّذين يَبتدِئونَكُم)[3]، فالغرضُ من القتال كفُّ الأذى والدِّفاع عن المظلومين ضدَّ الظُلم، فإذا تَوقَّفَ الظُّلم أو اندحر تَوَقَّف القتال، أَمَّا القَتلُ فهو مُطلَقُ إزهاق الرُّوح بحقٍّ أو بغير حقٍّ.

كُرهًا وكَرهًا:

كثيرٌ من أَهلِ اللُّغةِ لم يُفَرِّقوا بين الكَرْه والكُرْه، وقالوا: إنّهما لُغتانِ، فبأَيّ لغةٍ وقع الخطاب بهما فجائزٌ[4].

ومنهم من فَرَّقَ؛ فقال: الكُرْه ما أَكرهتَ نفسَك عليه، والكَرْهُ ما أَكرَهَك غيرُك عليه، تَقولُ: جئتُكَ كُرْهًا وأَدخَلتَني كَرْهًا[5]، فيكون الكَرْهُ بفتح الكاف ما يأتي من الخارج، ويُقابلُه الطَّوعُ كما في قوله تعالى ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾ [فصّلت: 11].

أَمَّا الكُرهُ بضمّ الكاف فهو ما يَنبَعِثُ من الدَّاخل كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾، فقد جاءت كلمة الكُره لأَنَّ الإنسان بطبيعته يَكرهُ القتال لما فيه من المَشقَّة.

"وقد وردت مادّة (كره) في القرآن الكريم في واحد وأربعين مَوضِعًا، إلّا أنّ هذا

(1) الرّاغب، المفردات، والسَّمين، عُمدة الحفّاظ: (قتل).
(2) الجَوهريّ، الصّحاح، والزّبيديّ، تاج العروس: (قتل).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/201.
(4) ابن دُريد، جمهرة اللّغة: (ركه)، والجَوهريّ، الصّحاح، والزّبيديّ، تاج العروس: (كره).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (كره)، والكفويّ، الكلّيات، ص: 769.

المَوضِع هو الوحيد الّذي لايجوز فيه الفتح والضّم، وقد ذكروا أنّ (الكَره) بالفتح: المشقّة الّتي تنال الإنسان من خارجٍ فيما يُحمَل عليه بإكراه، أمّا (الكُره) بالضّم فهو ما يناله من ذاته وهو يعافه، والثّاني ضربان: أحدهما: مايُعاف من حيث الطّبع، والثّاني: ما يُعاف من حيث العقل أو الشّرع، وما في الآية من الضّرب الأوّل"[1].

الحُبّ والوُدّ:

الحبُّ: ميل النَّفس إلى ما تراه وتظنُّه خيرًا[2] على سبيل اللُّزوم والثَّبات[3]، فمُجرَّدُ تَعلُّق القلب يُسَمَّى حُبًّا[4]. وأمَّا الوُدُّ: فهو خالص الحُبُّ وألطفُه وأَرقُّهُ، وهو من الحُبّ بمنزلة الرَّأفة من الرَّحمة، فالوُدُّ أَصفى الحُبِّ وأَلطفُهُ[5]، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: 21] وفي الوُدّ معنى الصِّلة وبَذل ما يَزيدُ في الحبِّ، فمشاعرُ الميل نحو المحبوب حُبٌّ، والابتسامة في وجهِهِ وبذل النُّصحِ والهديَّة وُدٌّ، ومنه قوله تعالى: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: 1]، أي: بأسباب المحبَّة من النَّصيحة[6]، ومن أسماء الله تعالى الوَدودُ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: 14]، أي: المُحبُّ لعباده يَصِلُهم ويُمِدّهم برحمته[7].

فالمشاعر الدَّاخليَّة حُبٌّ، والظَّواهر الماديَّة وُدٌّ، فكُلُّ وَدُودٍ مُحِبٌّ وليس كلُّ مُحِبٍّ وَدودًا.

الـوُدُّ خـالـص الحُبِّ؛ والحُبُّ مـا اسـتـقـرَّ في القلب، والوُدُّ ما ظهر في السُّلوك

(1) إبراهيم الهدهد، الاحتباك في الذّكر الحكيم مواقعه أسراره، ص: 58.
(2) الرّاغب، الذّريعة إلى مكارم الشّريعة، ص: 256.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (حب)، وابن منظور، لسان العرب: (حبب).
(4) الهروي، منازل السّائرين، ص: 88.
(5) ابن قيّم الجوزيّة، روضة المحبّين، ص: 46.
(6) الرّاغب، المفردات: (ودد).
(7) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ودد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 3 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-54-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 3 : سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-54-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»